مجلة جامعة الشارقة

دورية علمية محكمة

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

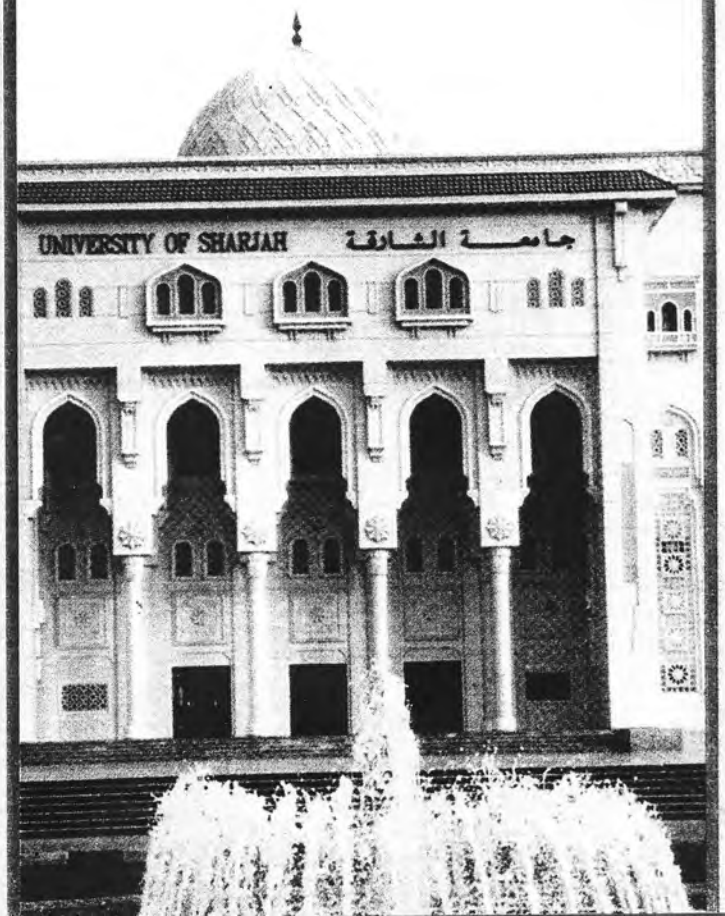

المجلد ٥، العدد ٣
شوال ١٤٢٩ هـ / اكتوبر ٢٠٠٨ م

موقف أفلاطون من البلاغة من خلال محاورتي "جورجياس" و "فيدروس"

د. عماد عبد اللطيف
جامعة القاهرة
القاهرة، جمهورية مصر العربية

الخلاصة

يحاول هذا البحث إعادة فحص موقف أفلاطون 'العدائي' من البلاغة، كما يظهر في محاورتي 'جورجياس' و 'فيدروس'. ويحاول استكشاف فرضية أن مفهوم البلاغة التي ينتقدها أفلاطون يشير إلى البلاغة السياسية وبعض أشكال البلاغة القضائية فحسب. ومن ثَمَ يُحاج البحث بأن نقد أفلاطون للبلاغة هو نقد للخطابات السياسية التي تستهدف السيطرة على الشعوب بواسطة استخدام تقنيات التضليل اللغوية من ناحية ونقد للخطابات القضائية التضليلية من ناحية أخرى. ويحاول البحث الإجابة عن أسئلة محددة هي: ما البلاغة التي ينتقدها أفلاطون؟ ولماذا ينتقدها؟ وما البلاغة البديلة التي يقترحها أفلاطون؟ وهل يمكن تحقيقها؟ ويناقش البحث المشكلات التي ينطوي عليها موقف أفلاطون من البلاغة، وبعض الاستجابات المعرفية لهذا الموقف قديما وحديثا؛ سواء أكانت تنتمي إلى الفلسفة أم البلاغة. وتتضمن الخاتمة عرضا لأثر نقد أفلاطون للبلاغة في البلاغة العربية.

ABSTRACT

This article studies Plato's 'hostile' attitude towards rhetoric in 'Gogias' and 'Phaedrus'. It argues that the concept of rhetoric that Plato criticises is exclusive to political and judicial manipulative utterances. The article investigates the following research questions: What are the kinds of rhetoric that Plato criticises? Why does he criticise them? What alternative does Plato introduce for the type of rhetoric he criticises? How might this be achieved? What are the discursive problems that could be caused by his suggestions? The study also tackles contemporary responses to Plato attitudes towards rhetoric in philosophical and rhetorical studies. The study concludes by showing the impact of Plato's ideas about rhetoric on the Arabic rhetoric.

مقدمة:

ارتبطت كلمة 'بلاغة' بإيحاءات سيئة على مدار قرون طويلة في العالم الغربي. ويذكر يسلنج أن البلاغة كانت قد اكتسبت سمعة سيئة في أواخر القرن التاسع عشر إلى

حد إلغاء تدريسها في المؤسسات التعليمية الأوروبية. وأن "كلمة بلاغة أصبحت محملة بدلالة ازدرائية؛ فهي تقترح الخدع الماكرة والاحتيال والكذب، أو تؤلف بين الكلمات الجوفاء والتعبيرات المبتذلة والتفاهات. وكان كونك بلاغيا يعني أنك طنان."(١)

هذا الموقف السلبي من البلاغة يمكن الرجوع به إلى الفيلسوف اليوناني أفلاطون (٤٢٩-٣٤٧ق.م)؛ فقد أرجع كارل بوبر الإيحاءات السلبية المرتبطة بكلمة بلاغة إليه(٢). أما جرونبك، فإنه يظن أن أفلاطون ربما يكون هو الذي اخترع كلمة 'البلاغة' Rhetorikê وحمّلها بهذه الدلالات السلبية(٣).

يتفق الكثير من دارسي البلاغة على أن موقف أفلاطون من البلاغة كان سلبيا إلى درجة العدائية(٤). ويذهب فيكرز إلى أن أفلاطون كان حريصا على أن يرسم صورة قاتمة للبلاغة بقدر ما يستطيع، وأن يدفعها إلى الحضيض. وقد دفع موقف أفلاطون من البلاغة يسلنج في مفتتح دراسته عن البلاغة والفلسفة إلى اقتراح تغيير العنوان الفرعي للمحاورة، وهو "عن البلاغة"، إلى العنوان الذي يراه أكثر تعبيرا عنها، وهو "ضد البلاغة"، مقتفيا بذلك خطى ألفريد كروازيه في مقدمته التي صدَّر بها ترجمته للمحاورة إلى الفرنسية(٥).

يحاول هذا البحث إعادة فحص موقف أفلاطون من البلاغة، كما يظهر في محاورتي 'جورجياس' و'فيدروس'. ويحاول استكشاف فرضية أن مفهوم البلاغة التي ينتقدها أفلاطون يشير إلى البلاغة السياسية وبعض أشكال البلاغة القضائية فحسب. ومن ثَمَ يُحاج البحث بأن نقد أفلاطون للبلاغة هو نقد للخطابات السياسية التي تستهدف السيطرة على الشعوب بواسطة استخدام تقنيات التضليل اللغوية من ناحية ونقد للخطابات القضائية التضليلية من ناحية أخرى. وسوف يحاول البحث الإجابة عن أسئلة محددة هي: ما البلاغة التي ينتقدها أفلاطون؟ ولماذا ينتقدها؟ وما البلاغة البديلة التي يقترحها أفلاطون؟ وهل يمكن تحقيقها؟ وتتضمن خاتمة البحث محاولةً لتحديد المشكلات التي ينطوي عليها موقف أفلاطون من البلاغة، وبعض الاستجابات المعرفية لهذا الموقف قديما وحديثا؛ سواء أكانت تنتمي للفلسفة أم البلاغة.

نقد أفلاطون للبلاغة: أية بلاغة؟ ولماذا ينتقدها؟

اختص أفلاطون البلاغة بمحاورتين من محاوراته؛ الأولى هي محاورة 'جورجياس'، التي يرجِّح كروازيه أنها ألفت فيما بين عامي ٣٩٥ و٣٩٠ قبل الميلاد(٦). والثانية هي محاورة 'فيدروس' التي يُرجِّح روبان أنها أُلفت في الفترة

السابقة مباشرة على سفر أفلاطون في رحلته الثانية إلى صقلية[٧]؛ أي حوالي عام ٣٦٦ قبل الميلاد[٨]. وعلى الرغم من الفاصل الزمني الطويل -وفقا للتحديدين السابقين- بين المحاورتين فإن موقف أفلاطون المناهض للبلاغة السائدة في عصره (بلاغة السفسطائيين أو الخطباء) لم يتغير في طبيعته، وإن تغير في درجة شدته. فقد ظهر هذا الموقف بوضوح وتفصيل وقسوة في 'جورجياس'؛ إلى حد إفراد دراسات كاملة للبحث في أسباب قسوته[٩]. أما 'فيدروس' فقد تضمنت مساحة أقل من نقد البلاغة السائدة في عصره، واهتماما أكبر بوضع قواعد وأسس بلاغة جديدة، تضمنت 'جورجياس' إشارات محدودة لها.

لقد رأت مطر أن التفاوت بين المحاورتين في درجة نقد بلاغة السفسطائيين يدل على حدوث تطور في موقف أفلاطون من البلاغة، وأن هذا التطور ينسجم مع التطور العام الذي يمكن رصده في مجمل فلسفة أفلاطون بين كتاباته المبكرة التي تمثلها 'جورجياس'، وكتاباته المتأخرة التي تمثلها 'فيدروس'. وترى أن أفلاطون قد هاجم البلاغة في 'جورجياس' وعدها نوعا من الخداع والتمويه، ومن الخبرة العملية المكتسبة بالممارسة، غايتها التأثير في السامعين والتمويه عليهم، شأنها في ذلك شأن السفسطة والطهي والزينة؛ أي تلك المهارات التي لا تحقق للإنسان خيرا ولا نفعا يعود على نفسه أو بدنه، بل تُكسبهما مظهر الصحة والسلامة فقط. بينما راجع أفلاطون نقده السابق في محاورة 'فيدروس'، والتي ذهب فيها إلى أنه يمكن الإبقاء على البلاغة أو إصلاحها، وحدد الشروط الكفيلة بتحقيق ذلك، ووجد بغيته في نشأة خطابة فلسفية لا تمارس إيهام الجمهور لتحقيق مصالح المتكلمين، بل تلتزم بالتعبير عن الحقيقة والتوجيه إلى الخير. وترى مطر أن هذا التطور يعود إلى تغير موقف أفلاطون من الفن عموما؛ "فبعد أن كان يذمه لأنه صادر عن إلهام وعن قوة غير عقلانية، أصبح - بعد تطور فلسفته ونضوجها- لا يذمه لهذه الأسباب، بل على العكس من ذلك، يرى أن الفن الملهم كالفلسفة الملهمة بالحدس والرؤية المباشرة للحقيقة أكثر تعبيرا عن الجمال، وتوجيها إلى الخير"[١٠].

ويحتاج رأي مطر إلى بعض التدقيق. فتغير موقف أفلاطون من الفنون الإلهامية مثل الشعر وفن التصوير والموسيقى لا ينطبق على الخطابة. فأفلاطون لم يدرج الخطابة ضمن الفنون التي تحاكي عالم المثل، التي انتقدها، بل إنه ينفي في محاورة 'جورجياس' أن تكون بلاغة السفسطائيين التي ينتقدها فنا أصلا، وجعلها مجرد تقنية أو خبرة مكتسبة، مستخدما صيغة لغوية قاطعة؛ فهو يقول على لسان سقراط: "أنا لا

أعتبرها فنا على الإطلاق"[١١]. كما أن البلاغة -كما مورست في عصره، ممثلة على وجه الخصوص في البلاغتين السياسية والقضائية- كانت نشاطا عقليا واعيا، ولم تكن نتاجا للإلهام. وأخيرا فإن التفاوت، في درجة نقد بلاغة السفسطائيين، بين محاورتي 'جورجياس' و'فيدروس' لا يعود إلى تطور فلسفة أفلاطون فيما بين الأعمال المبكرة والأعمال المتأخرة؛ ليس لأن بعض دارسي ' فيدروس' يرجحون أنها أول المحاورات التي كتبها أفلاطون فقط[١٢]؛ بل، كذلك وبشكل أساس، لأن 'جورجياس'، و'فيدروس' تمثلان خطوتين في مشروع واحد؛ إحداهما تمثل هدم ما هو قائم، والأخرى تشيِّد بناءً جديداً. ومن الطبيعي أن فعل الهدم يتطلب، إضافة إلى النقد الشامل، بعض القسوة وربما العدائية. ومن ثم فإن الإجابة على السؤالين السابقين لا تكتمل إلا بوضع سؤالين آخرين: ما البلاغة 'البديلة' التي يطرحها أفلاطون؟ وكيف يمكن تحقيقها من وجهة نظره؟ وفي حين تكاد تنصرف محاورة 'جورجياس' إلى الإجابة عن السؤالين الأوليين، تكاد محاورة 'فيدروس' تنصرف إلى الإجابة عن السؤالين الأخريين.

محاورة 'جورجياس': نقد البلاغة السياسية

تنقسم 'جورجياس' إلى ثلاث محاورات فرعية؛ الأولى تدور بين سقراط وجورجياس (٤٨٥-٣٨٠ ق.م) معلم البلاغة الشهير، وأحد أشهر السفسطائيين اليونانين. في هذا الحوار دار النقاش حول تعريف جورجياس للبلاغة وتحديده لماهيتها وخصائصها. وهو يمثل، من هذه الناحية، الجزء الأكثر أهمية في إجابتنا عن السؤالين الأولين. أما المحاورة الثانية فكانت بين سقراط وبولس، وهو معلم آخر من معلمي البلاغة المشهورين. ودار النقاش فيها حول ما إذا كانت البلاغة فنا أم تقنية. وتدور المحاورة الثالثة، التي طرفاها سقراط وكاليكاليس، حول رأي كاليكاليس في أن البلاغة مهمة ما دامت تجلب لمن يمتلكها اللذة التي يراها غاية الحياة، وتفنيد سقراط له.

في مفتتح المحاورة يعرف جورجياس البلاغة[١٣] بأنها "القدرة على إقناع الناس بواسطة الحديث؛ القضاة في محاكمهم، والشيوخ في مجلسهم، وفي الجمعية العمومية، وكذلك في كل اجتماع آخر يجتمع فيه المواطنون"[١٤]. ويحدد في الفقرة ذاتها هدف هذه البلاغة بأنه السيطرة على هؤلاء المخاطبين و'تسخيرهم' لمصلحة حائز هذه البلاغة؛ أي "أنت يا من تعرف كيف تتكلم، وكيف تقنع الجماهير."[١٥] وقد وافق بولس وكاليكاليس جورجياس على التعريف والوظيفة اللذين يقترحهما للبلاغة، بل وصل ثانيهما إلى حد القول بأن البلاغة هي التي تضمن إخضاع الضعفاء لسيطرة الأقوياء.

يمكن القول، وفقا لتعريف جورجياس السابق، أن البلاغة التي ينتقدها أفلاطون في 'جورجياس' هي نشاط (تعليمي، وعملي) يمكّن من استخدام الكلام أداة للسيطرة والإخضاع؛ أي أداة للاستحواذ على السلطة وممارستها. وقد لاحظ موري أن محاورة 'جورجياس' تدور بأكملها حول موضوع 'السلطة'. ودعم رأيه بملاحظة التكرار الكبير لمفردة 'سلطة' وما يرتبط بها في مقدمة المحاورة، التي اختصت بالحوار بين سقراط مع جورجياس فحسب، والذي يحصيه في ١٧ تكرارا. ويرى موري أن دفاع جورجياس عن البلاغة يستند إلى أنها تضمن للبلاغي الاستحواذ على السلطة السياسية الفعالة في البرلمان والمحاكم، والسيطرة على جمهور الجاهلين بواسطة الإقناع. وكذلك التحكم في أفعال المتخصصين المهرة؛ مستشهدا بأمثلة جورجياس التي يصرح فيها بأن الطبيب ورجل المال يصبحان عبدين للخطيب الذي يمكنه أن يحكم الآخرين في المدينة. ويخلص إلى نتيجة مؤداها: أن حيازة السلطة تمثل الخاصية المميزة للبلاغة التي يُعلمها جورجياس، وأن البلاغة التي تفقد السلطة العامة ليست هي البلاغة التي يدرسها جورجياس(١٦).

لكن حيازة السلطة ليست دائما عملا شريرا. ومن ثم فإن 'عداء' أفلاطون للبلاغة لا يبرره كونها أداة للاستحواذ على السلطة فحسب، بل يرجع، أولا، إلى ما تتبعه من سبل للاستحواذ عليها. وثانيا، إلى طبيعة هؤلاء الذين يحوزون السلطة بواسطتها. ولتوضيح كلا الأمرين نحتاج إلى التوقف عند مكانة الخطابة والخطباء في أثينا القديمة عامة وفي عصر الديمقراطيين الأثينيين(٥٠٧-٣٢١ ق.م) على وجه الخصوص.

في البدء كانت الآلهة. وقد كانت الإلهة ميوزيس Muses -ربة الخطابة والإقناع عند اليونانيين- تتصف بامتلاكها قوة سحرية؛ فكانت قادرة على أن تسحر البشر وتغويهم وتفتنهم، وأن تضعهم في حالة انتشاء أو حلم(١٧). وإذا كان المواطن الصالح هو الذي يقتدي بأفعال آلهته، فإن الخطيب الصالح كان هو الذي يستطيع أن 'يسحر البشر ويغويهم ويفتنهم'. ولكن سيظل الفارق موجودا، ليس في درجة القوة فحسب، بل في غاية امتلاكها بالأساس. إن سحر البشر وإغواءهم وفتنتهم يؤدي إلى السيطرة عليهم بواسطة سلبهم وعيهم، وإبطال عمل عقولهم(١٨). وعلى حين قد يكون تغييب العقل عملا مقبولا في حضرة إله، فإنه يكون عملا خطيرا في حضرة خطيب.

يبدو أن الخطباء السياسيين في عصر الديمقراطيات الأثينية كانوا، فيما يتعلق باقتدائهم بربتهم، خطباء صالحين. فعلى أرض الواقع لم يختلف الأمر كثيرا. لقد استطاع السفسطائيون تأكيد العلاقة بين حيازة البلاغة وحيازة السلطة؛ فبواسطة

الكلمات استطاعوا 'سحر الأثينيين وإغواءهم وفتنتهم'، ومن ثمَّ السيطرة عليهم. وأصبحت البلاغة بوابة يستطيع من يتقن أدواتها أن يحوز السلطة، وأن يمارسها. وكانت العلاقة بين البلاغة والسلطة انعكاسا طبيعيا للنزوع العام لدى اليونانيين نحو تقدير الكلام البليغ، وقائله. فقد كان اليونانيون القدماء "يدركون جيدا سلطة اللغة والكلام، وكذلك سلطة الشخص القادر على امتلاك ناصيتيهما"(١٩).

لقد نجح السفسطائيون الخطباء في ترسيخ هذا الارتباط بين البلاغة والسلطة؛ إلى الحد الذي ترسخ فيه استقطاب السلطة بين من يملكون البلاغة ومن لا يملكونها. وفي سياق تبريره لموقف أفلاطون من البلاغة يُذكّر يسلنج بأنه يجب على المرء، وهو يدرس بنية السلطة في اليونان القديمة، أن يظل متذكرا التمييز الحاد بين هؤلاء الذين يمتلكون ناصية الكلام (حائزو السلطة)، وهؤلاء الذين لا يمتلكونها (من لا سلطة لهم). ويبدو أن معلمي البلاغة كانوا دائماً ما يذكّرون تلامذتهم بالعلاقة بين البلاغة والسلطة. وقد خلص موري إلى أن مفهوم البلاغة والحافز على تعلمها وبنية أغراضها، كما يقدمها جورجياس في حواره مع سقراط، تنطوي على التحكم الاجتماعي والسياسي في الآخرين؛ سواء أكانوا متعلمين أم جهالا(٢٠). ويمكننا في هذا السياق أن نسترجع ما يفخر به جورجياس من أن الخطابة تمكن الخطيب(السياسي) من تسخير الشعب لمصلحته هو. وفي مرحلة متأخرة، لم تعد البلاغة أداة الخطيب (السياسي) للسيطرة على الشعب الأثيني في المجالس الشرعية فحسب، بل أداته للسيطرة على بقية الشعوب، بل على الكون بأسره.

يذكر ديدروس سيكولوس في سياق حديثه عن أهمية البلاغة أو البيان أنه "من المتعذر أن تجد ما هو أكثر تميزا من البلاغة. وبسبب ذلك فاق اليونانيون بقية الشعوب(٢١)، وتفوق العارف (بها) على غير العارف. وكان هؤلاء البلاغيون، علاوة على ذلك، هم من استطاعوا التحكم في الآخرين. وأخيرا فإن كل شيء وكل موقف لا يكشف عن نفسه إلا من خلال تقديم الخطيب أو المتكلم له"(٢٢). ينطوي نص سيكولوس على تعليل لمكانة البلاغة؛ فهي تقترن بالمعرفة والسلطة والتحضر، الذي وسم به اليونانيون –ومن بعدهم الرومانيون– أنفسهم بوصفهم شعبًا. ويصبح حائزها هو العارف القوي المتحضر، في مقابل مفتقدها، الذي يوصف بالجهل والضعف والبربرية. وتقوم الصفات السابقة بتبرير سيطرة حائزي البلاغة على مفتقديها، سواء أكانوا أفرادا أم شعوبا.

لقد أفاض دارسو محاورة 'جورجياس' في تشكيل صورة البلاغي أو السفسطائي أو الخطيب الذي يواجهه أفلاطون. ويمكن أن نميز بين طائفتين؛ طائفة

المعلمين، وطائفة المتعلمين. الأولى تضم السفسطائيين الخطباء الذين كانوا يُعلمون أبناء الأثرياء اليونانيين البلاغة مقابل أجور باهظة؛ مثل جورجياس وبروتاجوراس (٤٩٠-٤٢٠ ق.م) وليسياس (٤٥٨-٣٨٠ ق.م). وقد هاجم سقراط هؤلاء هجوما شاملا، وتابعه أفلاطون في هجومه عليهم، ووصف عملهم بأنه غير أخلاقي ومضر بالمدينة؛ فهم لا يُقدمون لطلابهم معرفةً، بل حيلا. ولا يستهدفون الوصول إلى المعرفة بل إلى الإقناع. وتشغلهم المصلحة لا الخير. وغايتهم تعليم طلابهم طرق الوصول إلى السلطة لا الفضيلة. أما الطائفة الأخرى فهي طائفة المتعلمين؛ وكانوا من أبناء الأثرياء الأثينيين الذين أقبلوا على دراسة البلاغة التي كانت تمثل لهم، فنا جذابا لا يُقاوم لأنه يجلب السلطة[٢٣]. هؤلاء الطلاب- بعد انتهاء دراساتهم، ونجاحهم في تعلم كيف يستخدمون اللغة ويتقنون أساليب البلاغة- كانوا يصبحون رجالا أقوياء ينتمون إلى الطبقة الأرستقراطية، ويمثلون النخبة التي تمتلك حق الكلام في المجتمع[٢٤]. لقد هاجم أفلاطون هؤلاء بقسوة، كما هاجمهم أستاذه سقراط من قبل. وكانت شخصية كاليكاليس[٢٥] في محاورة 'جورجياس' ممثلة لهم، وهو رجل يصفه كروازيه، استنادا إلى الصورة التي يظهر عليها في المحاورة، بأنه لا أخلاقي في جرأة، وأنه لا يتردد في أن يُلقي في البحر بكل الأخلاقيات الراسخة لينقذ البلاغة من الغرق[٢٦]. تلك البلاغة التي تمثل، في الواقع، سفينته التي سوف يقفز منها إلى السلطة. هؤلاء 'البلاغيون' لا يلبثون أن يمسكوا بزمام السلطة. وقتها سوف يعملون فقط لمصلحتهم الخاصة، وليس لخير شعوبهم. ولا ينتقد أفلاطون معلمي البلاغة وطلابها فحسب، بل ينتقد أيضا حكام أثينا، مثل تيميستوكل (٥٢٤-٤٥٩ ق.م) وملتيادس وابنه سيمون، وبركليس (٤٩٥-٤٢٩ ق.م)، الذين استخدموا البلاغة للسيطرة على شعب أثينا، والذين يمثلون المعادل التاريخي لشخصية كاليكاليس. وقد وصف كروازيه هؤلاء الحكام، استنادا إلى المحاورة، بأنهم مَنْ تملقوا الغرائز الحربية لدى الشعب، وقدموا له السفن ومخازن الأسلحة والأسوار، واتبعوا سياسة استعمارية، بدلا من أن يبذلوا جهودهم في نشر العدالة والاعتدال بين أفراد الشعب[٢٧].

لقد وضحت الآن أية بلاغة تلك التي انتقدها أفلاطون-بقسوة أو عدائية- في 'جورجياس'. إنها بلاغة "غير أخلاقية بشكل جذري، ولا يمكن تجاوزه، ويكمن الظلم في جوهرها"[٢٨]. بلاغة محورها التلاعب بالمستمعين من قبل أناس غير مخلصين بشكل جذري[٢٩]. ووضح الآن أي بلاغيين، معلمين أو متعلمين أو ممارسين، هؤلاء الذين ينتقدهم أفلاطون. فجورجياس المعلم يتكسب من وراء تعليم تلامذته كيف يسخّرون الآخرين لمصلحتهم ويتحكمون فيهم. وكاليكاليس تلميذ جورجياس ليس إلا

مشروع طاغيةٍ محتال[٣٠]. أما هؤلاء الذين يمارسونها؛ أعني قادة أثينا الاستعماريين، فهم ملهمو وقدوة كل مدمري البشرية وسفاكي الدماء.

لقد كان نقد أفلاطون للبلاغة يعكس صراعا بين طريقتين في الحياة وتصورين للعالم. الأول يرى غاية الحياة الوصول إلى الفضيلة، والثاني يرى غايتها الوصول إلى السلطة. الأول يحتفي بالصدق مهما كانت نتيجته، والثاني يحتفي بالتملق والخداع. الأول يُعنى بالمعرفة، والثاني يُعنى بالاعتقاد. الأول يشغله الخير، والثاني تشغله اللذة. الأول يحركه العدل، والثاني تحركه المنفعة. الأول لا تشغله الحياة العامة، والثاني لا تشغله إلا الحياة العامة. الأول وسيلته الفلسفة والجدل، والثاني وسيلته السفسطة والبلاغة.

لم يكن أفلاطون، إذن، يدافع عن الفلسفة فحسب، بل عن إمكانية نشوء مجتمع صالح، كما يتخيله. ويلاحظ كروازيه أن نقد أفلاطون للبلاغة لا يمكن أن يُفهم بمعزل عن نقده لنمط التعليم الذي كان يقدمه السفسطائيون لشباب أثينا، والذي رأى أنه يؤدي بهم إلى أن يكونوا مواطنين غير صالحين.

يمكن القول، بناءً على ما سبق، إن نقد أفلاطون للبلاغة في محاورة 'جورجياس' كان موجها إلى أحد مجالاتها هو البلاغة السياسية. فقد حظيت، البلاغة السياسية بوصفها ممارسة تعليمية، أو سلوكا سياسيا، بالجانب الأكبر من نقد أفلاطون. بالإضافة إلى أن معظم الانتقادات الأخلاقية التي وجهها أفلاطون للبلاغة تنطبق أساسا على البلاغة السياسية، وربما عليها وحدها. وربما يفسر لنا ذلك، أولا، القسوة التي ربما تتبدى في 'جورجياس'، ثانيا، الاهتمام المتواصل بها من قبل الدارسين الغربيين المحدثين؛ حيث لا يكاد ينقضي عقد من الزمن دون ظهور ترجمة جديدة لها.

'فيدروس': البلاغة البديلة

محاورة 'فيدروس' هي ثاني المحاورات التي خصصها أفلاطون للبلاغة. تدور المحاورة بين شخصين فحسب؛ سقراط وأحد الشباب الأثينيين المناصرين للسفسطائيين العاشقين للبلاغة، يدعى فيدروس الأثيني. يمكن أن نقسم المحاورة، موضوعيا، إلى أربعة أجزاء. الأول يقرأ فيه فيدروس مقالا كتبه السفسطائي اليوناني لوسياس عن الحب. ويقدمه فيدروس بوصفه النموذج الأمثل للبلاغة. الجزء الثاني يتضمن رفض سقراط لبلاغية مقال ليسياس، ويقدم سقراط نفسه خطبة عن الحب يراها ممثلة للبلاغة الحقة، ويوافقه فيدروس على ذلك. الجزء الثالث ينقد فيه سقراط بالتفصيل مقال لوسياس، والبلاغة التي يمثلها. أما الجزء الرابع والأخير، فيشرح فيه سقراط سمات البلاغة الحقة، وما يجب مراعاته أو فعله للوصول إليها.

لا ينتقد أفلاطون في 'فيدروس' الخطابة بشكل أساس، بل الكتابة. وهو، في هذا الصدد، يعطي أفضلية مطلقة للخطابة على الكتابة؛ إلى حد استشهاده -وربما تأليفه- بأسطورة مصرية مضمونها أن الكتابة بلا أهمية، وتكاد لا تخلو من ضرر. لكن أفلاطون لا ينقد اختيار لوسياس الكتابة بدلا من الخطابة فحسب، بل الطريقة التي اتبعها في تأليف مقاله أيضا. وينطلق من ذلك إلى نقد الطريقة التي يبني بها الخطباء من معاصريه خطبهم، ويقدم مجموعة من القواعد التي يمكن أن يسترشد بها الخطباء في بناء خطبة جيدة. بالإضافة إلى ذلك ينتقد أفلاطون الأهداف والدوافع التي يراها كامنة وراء مقال لوسياس، والذي يراه نموذجا لمن يَعلم الحقيقة ويتعمد تضليل سامعيه.

لم يخص أفلاطون نوعا من أنواع البلاغة بنقده في 'فيدروس'؛ فمقال لوسياس كان عن الحب، وخطبة سقراط كانت عن الحب أيضا. ولم يرد ذكر البلاغتين السياسية والقضائية إلا نادرا، وفي سياقات شبه استطرادية. وفي هذه المواضع يتلاقى نقد سقراط اللاذع للبلاغة السياسية مع نقده لها في محاورة 'جورجياس'، في تركيزه على ١) اهتمامها بالمظهر لا الجوهر، ٢) كون أهدافها تنحصر في إقناع الجمهور، وليس جعلهم مواطنين فضلاء، ٣) استخدامها للتضليل والخداع لتحقيق هذا الإقناع(٣١). ومن ثمَّ فإن 'فيدروس' لا تمثل تغيرا في موقف أفلاطون من البلاغة، وإنما تمثل تركيزا على أنواع وجوانب أخرى منها، وعلى مهام أخرى يستكمل بها مشروعه لنقضها، وبناء بديل لها.

البلاغة التي يوليها أفلاطون اهتمامه في 'فيدروس' ليست هي البلاغة السياسية التي خصها، تقريبا، بمحاورة 'جورجياس'؛ وإنما هي نوع من البلاغة يمكن أن نسميه 'بلاغة المحاضرة'. فهي تنشغل أساسا بموضوعات فلسفية (كان النموذج التطبيقي الذي مارس عليه سقراط النقد والإنشاء يخص مسائل فلسفية، مثل: ماهية الحب والعشق، والتفاضل بين الحب وعدمه، ومراتب النفس، وطبيعة العلاقة بين المحب والمحبوب..إلخ). كما أنها تشترط المعرفة القبلية والمشافهة. وعلى الرغم من وجود متكلم رئيس فإنها تقوم على الحوار والمناقشة، مستخدمة الجدل لتحقيق ذلك. وهي لا تستهدف تحقيق الإقناع بل المعرفة، ولا تتعلق بالشئون العامة. وهي تمثل بالفعل البديل الذي يراه أفلاطون جديرا بأن يحل محل الكتابة من ناحية، والخطابة من ناحية أخرى، لتصبح أداة التعليم والتعلم.

يدرك أفلاطون خطورة 'الأحاديث' التي يراها أداة قيادة النفوس، ويرى إتقانها نوعا من الفنون، يحتاج إلى معارف وتدريبات خاصة. وقد كان معنيا في محاورة

'فيدروس' بتقديم هذه المعارف لمن يطلبها، وتوجيه استخدامهم لها. ويمكن القول إن 'فيدروس' تقدم نشاطا بديلا للبلاغة السياسية التي قامت 'جورجياس' بمحاولة سلبها مشروعية وجودها أخلاقياً ومعرفياً. وربما كان اختيار أفلاطون لفيدروس، وهو شاب في مرحلة طلب العلم، ليكون محاور سقراط في هذه المحاورة ينطوي على إشارة ضمنية إلى كون المحاورة ذات طابع تعليمي وتربوي، وذلك على عكس محاورة 'جورجياس' التي كانت تستهدف أساسا نقد البلاغة السياسية القائمة وممثليها، لذا فقد حاور سقراط فيها أشهر مدرسي هذه البلاغة (جورجياس)، وأكثر طلابها الذين يمكن تخيلهم تحمسا لها (كاليكاليس). إن العلاقة بين محاورتي 'جورجياس' و'فيدروس' تكاد تكون علاقة هدم وبناء. 'جورجياس' هدم لبلاغة قائمة، و'فيدروس' بناء لبلاغة جديدة. في 'جورجياس' يقوض أفلاطون أركان البلاغة السياسية، وفي 'فيدروس' يشيِّد أركان بلاغة المحاضرة.

نقد النقد الأفلاطوني للبلاغة

يبدو مشروع أفلاطون للهدم والبناء، كما قمنا بتحديده، منسجما تماما مع فلسفة أفلاطون. فهو طرح لا يعوزه حسن النية، ولا نبل المقصد، لكنه يفتقد العملية وإمكانية التطبيق. إنه طرح مثالي بحق؛ يقوم على تصورات ثنائية حدية للعالم والقيم. فالفيلسوف يوضع في مقابل السفسطائي الخطيب، والمعرفة توضع في مقابل الاعتقاد، والفضيلة توضع في مقابل المنفعة، والخطابة توضع في مقابل الجدل، والمشافهة توضع في مقابل الكتابة..إلخ. وككل الطروح المثالية فإن قيمته الحقيقية تكمن في عملية الهدم، لا عملية البناء. وربما يفسر ذلك الاهتمام الكبير بمحاورة 'جورجياس' مقارنة بمحاورة 'فيدروس'، والذي يظهر من مقارنة حجم الاستجابات المعرفية لها قديما وحديثا. ويكفي للتدليل على هيمنة 'جورجياس' أن أفلاطون يكاد يُعرف بأنه 'عدو البلاغة'. وفي الواقع، فإن البديل الذي يقترحه أفلاطون ربما كان، إضافة إلى مثاليته، منطويا على بعض التناقضات الداخلية.

يرى أفلاطون أن الجدل الذي يقوم به الفيلسوف هو بديل البلاغة، ثم يذكر أن المتفلسف الحق يجب ألا تشغله الحياة العامة. وربما كان ذلك سبباً آخر لرفض البلاغة السياسية المنغمسة كليةً في الحياة العامة. فاللغة تُعد الأداة الأساسية للسياسة. وإذا كان أفلاطون يرى أن الفيلسوف لا يجب أن يتورط في الحياة العامة ولا يجوز له أن يقترف إثم البلاغة، وإذا كانت البلاغة هي أداةٌ أساسية من أدوات التواصل بين الجمهور والحاكم؛ فإن سؤالا مهما يطرح نفسه هو: من الذي سيسيِّر الجوانب التي

تتعلق بالاتصال بين الجمهور والحاكم (بما فيها توجيه الشعب وقيادته ومعرفة احتياجاته وآرائه) إذا كان الفيلسوف -الذي يُنتظر منه، وفقاً لتصور أفلاطون، أن يكون خير من يقوده- غير منشغل بها؟ والواقع أن الإجابة عن هذا السؤال تكمن في طبيعة البديل الذي يقترحه أفلاطون للبلاغة السياسية الموجِّهة (أو الموجَّهة) للشعب؛ أعني الجدل والتفلسف. فالجدل والتفلسف -اللذان يضعهما أفلاطون موضع البلاغة والخطابة- يُعدَّان نشاطا نخبويا، قد تتفاعل معه النخب الفكرية، أما عامة الشعب فيصعب، غالبا، أن تتفاعل معه. ينطوي مقترح أفلاطون إذن على إقصاء للبلاغة الشعبية التي تستهدف الإقناع، يتسق مع إقصائه للشعب نفسه من دائرة الحكم، لصالح سيطرة الأرستقراطية الفكرية. ومن ثَمَّ فإن بديل البلاغة السياسية الموجهة للجمهور عند أفلاطون هو ديكتاتورية التفلسف. وينتج عن ذلك أن يُصبح الشعب خارج دائرة الحكم، وتسقط الحاجة للبلاغة السياسية؛ فليس ثمة حاجة لإقناع من لا قوة له.

لقد رأى أفلاطون أن التخلص من الخداع والتضليل اللذين يمارسهما البلاغيون للاستحواذ على السلطة يتحقق عن طريق التخلص من 'البلاغيين' وإحلال الفلاسفة محلهم. وهو ما يبدو حلا نخبويا يتسق تماما مع النزوع الأرستقراطي لأفلاطون، لكنه في الوقت ذاته لا يحقق سوى استبدال سلطة بسلطة أخرى، ربما تكون مضطرة بدورها إلى ممارسة خداع وتضليل مماثلين. لقد لاحظ فيكرز أن أفلاطون ينسب كل البلاغات إلى الطغاة فيما عدا بلاغته هو(٣٢). ويمكننا أن نقول إن أفلاطون لم يقدم ضمانات حقيقية تحول دون أن تصبح بلاغته بلاغة للطغاة. بل يمكن القول إنها مؤهلة أكثر من غيرها لأن تكون بلاغة للطغاة، لأنها سوف تعتمد على القهر المادي الذي يظهر بوصفه البديل المتوقع للإقناع. إضافة إلى أنها لن تسمح بإمكانية التعدد والتباين التي يمكن أن تتحقق عن طريق تباين ما يطرحه الخطباء الذين يسعون إلى إقناع الشعب. ومن ثم فإنه وفقا لتصور أفلاطون إما أن نكون أمام قهر مادي، أو بلاغة طغاة. وهكذا كان إقصاء أفلاطون للشعب وراء إغفاله للبديل الذي قد يكون أكثر عملية، وأقل خطورة؛ أعني إضعاف قدرة البلاغة على الخداع والتضليل عن طريق رفع درجة الوعي الشعبي بطرقها في الخداع والتضليل. وعندها سوف تتوقف البلاغة السياسية المُضلِّلة عن الوجود لتوقفها عن الفعل؛ فحين ينبذ الشعب البلاغيين المضللين تفقد البلاغة المضلِّلة مبرر وجودها.

لقد انتقد أفلاطون السياسيين الذين قفزوا إلى السلطة بواسطة البلاغة لأنهم كانوا 'متملقين' لغرائز الشعب، وأنهم كانوا يُسمِعون الشعب ما كان يود سماعه، وليس ما ينفعه(٣٣). وهو ما يعني أن خطر البلاغة السياسية يقتصر على كونها تسعى للحصول

على تأييد الشعب عن طريق ترديد الخطيب للأفكار التي يؤمن بها هذا الشعب وامتداحها. وهو رأي يغفل الهدف الأساس للبلاغة السياسية؛ أعني صياغة وعي هذا الجمهور وفقا لما يحقق مصالح الخطيب. فالبلاغي لا يتملق الغرائز الحربية للشعب فحسب، بل يولّد هذه الغرائز ويزكيها، ثم يستغلها لصالحه.

انشغل أفلاطون بنقد الأخلاقيات التي تقوم عليها البلاغة السياسية 'الشريرة بطبعها'، دون أن يتوقف بالتفصيل عند الخصائص اللغوية لهذه البلاغة 'الشريرة'، أو عند الأسباب التي تكمن وراء نجاحها أو فشلها، أو الطريقة التي تعمل بها. ولم يقدم نقدا حقيقيا للتقنيات يوازي نقده للأسس الأخلاقية. ولم تكن البلاغة البديلة التي اقترحها قادرة بالفعل على أن تحل محل البلاغة التي حاول نقضها. ومع ذلك فإن مساهمة أفلاطون في نقد البلاغة السياسية ما تزال مؤثرة؛ وربما يرجع ذلك إلى أنها تمثل الصرخة الأعلى صوتا ضد الخداع والتضليل السياسيين في تاريخ الفلسفة الغربية.

خاتمة:

يكشف التحليل السابق عن أن مفهوم 'البلاغة' التي انتقدها أفلاطون في محاورتي 'جورجياس' و'فيدروس' يقتصر على بعض ممارسات البلاغتين السياسية والقضائية. تنطوي هذه الممارسات على استخدام حيل لغوية وبلاغية بهدف خداع المستمع وتضليله. والغاية الأساسية لهذا الخداع والتضليل هي إخضاع المستمع لسيطرة المتكلم الذي يتقن أساليب البلاغة. ويقوم المتكلم (البليغ) بتوظيف قدرته على التحكم بالمستمعين في تحقيق أهدافه الخاصة، التي غالبا ما تتعارض مع أهداف المستمع. وبناءً على ذلك، فإن البلاغة التي هاجمها تستحق أن توصف بأنها بلاغة 'شريرة'، خاصة حين تستخدم في إطار يمس مصالح الوطن، ففي هذه الحالة يصبح المستمع المخدوع هو الشعب، وتصبح المصالح المهدرة هي مصالح الوطن.

لم يقدم أفلاطون بديلا فاعلا للبلاغة التي انتقدها. كما أنه لم يقدم أدوات حقيقية تمكّن من مقاومة هذه البلاغة، وإضعاف قدرتها على التأثير. وقد كان وجود هذه الثغرات في مشروع أفلاطون لنقد البلاغة حافزا على إنتاج بلاغات أخرى عديدة. فقد قدم معاصرو أفلاطون وتابعوه تصورات نظرية وعملية لبلاغات أخرى، تستفيد من التقنيات البلاغية، وتوظفها لصالح ما هو 'خيِّر'. ولعل البلاغة التي نظّر لها أرسطو -تلميذ أفلاطون- والبلاغة التي دعا لها أيزوقراط -خصم أفلاطون- من أهم البلاغات المغايرة لبلاغة أفلاطون في العصر اليوناني.

أما في العصر الحديث فقد كان نقد أفلاطون للبلاغة سببا أساسيا وراء بعض أهم التطويرات التي طرأت على علم البلاغة. ولعل أهم هذه التطويرات هو ما يعرف بـ"مشروع البلاغة النقدية Critical Rhetoric"، الذي يمثل رد فعل مباشر على موقف أفلاطون السلبي من البلاغة. وقد حاول مؤسسو هذه المشروع أن يغيِّروا من طبيعة الممارسة البلاغية ووظيفتها. فالبلاغة التي ينقدها أفلاطون تقوم بتعليم الطلاب كيفية الاستحواذ على السلطة بواسطة البلاغة، أما البلاغة التي يقترحها مشروع البلاغة النقدية فتقوم بتعليم الطلاب كيف يقاومون السلطة التي تقدمها البلاغة. وفي حين تتلخص وظيفة البلاغة التي ينقدها أفلاطون في كونها بوابة للوصول إلى السلطة، تتلخص وظيفة البلاغة التي يقدمها مشروع البلاغة النقدية في مقاومة هذه السلطة(٣٤).

أما في التراث العربي فإن مصطلحات البلاغة، والخطابة، والبيان تحمل دلالات ومعاني إيجابية تختلف كلية عن تلك التي حاول أفلاطون إلصاقها بمصطلح Rhetorikê. وربما كان ذلك وراء عدم اهتمام العرب القدماء بمحاورتي أفلاطون اللتين خصصهما للبلاغة. فقد احتفى العرب بهذه المصطلحات، والمفاهيم التي تشير إليها، والعلوم التي تدرسها. كما انتقل هذه الاحتفاء إلى الأشخاص الذين يمارسون البلاغة أو الخطابة أو البيان، أو من يتصفون بها؛ أعني البلاغي والبياني والخطيب. وقد أدت مجموع من العوامل إلى هذا الاحتفاء؛ منها ارتباط صفتي البلاغة والبيان بنصوص عربية مقدسة مثل القرآن الكريم والحديث الشريف، وإطلاق الوصف 'بليغ' أو 'بياني'، أو 'خطيب' على شخصيات مقدسة مثل النبي (ص) وكبار الصحابة التابعين. إضافة إلى أن التراث العربي لم يفصل فصلاً حاداً بين البلاغة والأدب أو بين علم البلاغة وعلوم أخرى تحظى بالتقدير مثل علوم القرآن التي تشمل تفسيره وإعجازه ومعانيه. بل اعتُبر علم البلاغة من العلوم الضرورية التي يجب أن يتقنها من يتعرض للقرآن بالشرح أو التفسير. وقد أدت هذه الارتباطات جميعا إلى الاحتفاء بالبلاغة علما ونصا. ولم ينقطع هذا الاحتفاء على مدار القرون الخمسة عشر الماضية. وربما كان هذا الاحتفاء عاملا أساسيا وراء الاهتمام المحدود الذي وجهه الفلاسفة والباحثين العرب لمحاورة 'جورجياس' قديما وحديثا من ناحية، والاهتمام الكبير بمؤلَّف أرسطو "في الخطابة" من ناحية أخرى، على الرغم من أن كلا المؤلَّفين يتخذان من البلاغة موضوعا لهما.(٣٥)

من المحتمل أن تكون هناك أسباب أخرى مؤثرة فيما يتعلق بتقديس العرب للبلاغة، لكن النتيجة النهائية هي أن العرب لم يعرفوا مثل هذا النقد الجذري لقدرة الكلام على التأثير في الأفراد والجماعات. وقد تزامن ذلك مع غياب أية محاولات

علمية في نقد البلاغة السياسية في التراث العربي القديم. وذلك على الرغم من أن ظاهرة لجوء بعض السياسيين إلى توظيف البلاغة في التضليل والخداع الجماهيري بهدف الاستحواذ على السلطة لا تخص مجتمعا دون آخر أو لغة دون أخرى. بل إن هذه الظاهرة تزداد انتشارا وخطورة في إطار الثقافة العربية التي تُقدَّس فيها البلاغة، دون أن يكون هناك فحص حقيقي لوظائف هذه البلاغة وآثارها. ومن هنا تكمن أهمية توثيق العرى بين البلاغة العربية وكل الأطروحات البلاغية التي تستهدف مقاومة استخدام البلاغة بهدف التضليل والخداع، سواء أكانت تستند إلى مشروع أفلاطون في نقد البلاغة أم إلى مشاريع معرفية أخرى.

هوامش الدراسة

(١) انظر، IJsseling, S. 1976. Rhetoric and Philosophy in Conflict: An Historical Survey. The Hague: M. Nijhoff، ص١. ولا تزال الإيحاءات السلبية لكلمة 'البلاغة' 'Rhetoric' موجودة في الاستخدام الغربي المعاصر للكلمة؛ سواء في السياق العام أم الأكاديمي، وسواء أكانت تُستخدم للإشارة إلى النصوص أو الخطابات التي توصف بأنها بليغة، أم إلى العلم الذي يدرس هذه النصوص والخطابات أو يُعين على إنتاجها. فقاموس مريام-ويبستر يذكر في مادة بلاغة أن أحد معاني كلمة البلاغة حين تستخدم في وصف كلام ما هو أنه "كلام طنان مخادع"، أما قاموس التراث الأمريكي فيذكر في نفس المادة أنها تعني "كلام معقد أو استعراضي أو مخادع أو رطاني". كما أنه من الشائع في الإطار الأكاديمي أن توضع البلاغة في مقابل 'الواقع' أو 'الحقيقة' في عناوين المؤلفات الأكاديمية؛ في إشارة واضحة إلى أن ما هو 'بلاغي' ليس إلا تمثيلات مخالفة للواقع ومزيَّفة له بشكل قصدي. وتزداد هذه السمعة سوءا حين تشير كلمة 'البلاغة' إلى علم أو فن إنتاج الكلام؛ نتيجة للدور السلبي الذي تمارسه بعض الدراسات البلاغية وبعض دارسي البلاغة المعاصرين، خاصة في أمريكا، في خدمة أصحاب المصالح من السياسيين والاقتصاديين الحريصين على الإفادة من القدرة الهائلة التي يقدمها الخطاب بوصفه أداةً للسيطرة. (انظر، قاموس مريام ويبستر، النسخة الألكترونية، على موقع:www.merriam-webster.com، وقاموس التراث الأمريكي، النسخة الألكترونية على موقع:www.bartleby.com.

(٢) نقلا عن، Vickers, B. 1988. In Defence of Rhetoric. Oxford: Clarendon Press; New York: Oxford University Press، ص ٨٣.

(٣) انظر، Gronbeck, B., E. 2004. Rhetoric and Politics. In Kaid, L. (ed.) Handbook of Political Communication Research. Mahwah,NJ, USA، ص ١٣٧.

(٤) انظر على سبيل المثال: فيكرز (١٩٨٨)، مرجع سابق، ص ١٤٨، ويسلنج (١٩٧٦)، مرجع سابق، ص٧، وجرونبك (٢٠٠٤)، مرجع سابق، ص ١٣٧.

(٥) انظر، يسلنج (١٩٧٦)، مرجع سابق، ص ٧. وقد ذكر ألفرد كروازيه في مقدمة ترجمته لمحاورة 'جورجياس' إلى الفرنسية أن البلاغة (البيان) في 'جورجياس' تقدم بوصفها "فن الكذب الضار

بالدول والأفراد؛ ولهذا أصبح في الإمكان تسمية المحاورة 'ضد البلاغة'"، نقلا عن: أفلاطون. ١٩٧٠. محاورة 'جورجياس'. (نقلا عن الترجمة الفرنسية التي قدمها ألفرد كروازيه)، ترجمها إلى العربية محمد حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ص ١١.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٣.

(٧) ورد هذا الرأي في المقدمة التي صدَّر بها روبان ترجمته للمحاورة إلى الفرنسية. وقد لخصت أميرة مطر هذه المقدمة وعلقت عليها في صدر ترجمتها للمحاورة إلى العربية، وقد اعتمدنا على هذا التلخيص. انظر، أفلاطون. (٢٠٠٠). محاورة فيدروس. دار غريب، مصر، ط١، ص ١٨. (صدر الكتاب قبل ذلك عن دار المعارف المصرية في طبعة ظهرت عام ١٩٨٦).

(٨) تُرجمت المحاورتان إلى اللغة العربية. فقد قام محمد حسن ظاظا بترجمة محاورة 'جورجياس' عن الترجمة الفرنسية التي قام بها ألفريد كروازيه، ونشرها مصحوبة بمقدمة المترجم الفرنسي في عام ١٩٧٠. أما 'فيدروس' فقد قامت أميرة حلمي مطر بترجمتها مستعينة بالنسختين اليونانية والفرنسية اللتين نشرهما ليون روبان عام ١٩٥٤. وقد ظهرت الترجمة العربية لفيدروس مصدرة بملخص لمقدمة روبان في عام ١٩٨٦.

(٩) انظر على سبيل المثال دراسة: Fussi, A. 2000. "Why Is the Gorgias so Bitter?" Philosophy and Rhetoric 33: 39-58.

(١٠) انظر المقدمة الوافية التي صدَّرت بها أميرة مطر ترجمتها لمحاورة 'فيدروس'، خاصة الصفحات من ص ٣ إلى ص ٩. والنص المقتبس ورد في ص ٧.

(١١) انظر، أفلاطون (١٩٧٠)، مرجع سابق، ص ٥٤.

(١٢) راجع مطر (٢٠٠٠)، مرجع سابق، ص١٧؛ وقد نسب روبان الرأي القائل بأن محاورة 'فيدروس' هي أولى المحاورات التي كتبها أفلاطون إلى الفيلسوف الألماني شليرماخر، وحاول تفنيد هذا الرأي. نفسه، نفس الصفحة.

(١٣) ترجمت مطر كلمة Rhetorikê إلى 'الخطابة'، بينما ترجمها ظاظا تارة 'البيان'، وتارة 'الخطابة'. وقد اخترنا ترجمتها بالبلاغة. وذلك، أولا، لأن دلالتها أوسع من المفهوم الذي يحتمله ويؤديه مصطلح 'الخطابة'، سواء في 'جورجياس' حيث يتم تعريفها بأنها "القدرة على الإقناع بواسطة الحديث"، أو في فيدروس؛ حيث يتم تعريفها بأنها "فن قيادة النفوس بواسطة الأحاديث". أما تسمية 'البيان' فهي تطلق في البلاغة العربية السكاكية على حقل بعينه من البحث البلاغي، وربما يؤدي استخدام مصطلح (البيان) بوصفه ترجمة لمصطلح Rhetoric إلى بعض الالتباس. وإذا وضعنا في الاعتبار ما ذكره جرونبك من احتمال أن يكون أفلاطون هو الذي اخترع كلمة Rhetorikê ليصف الخطابات السياسية والاجتماعية التي لا تنتج سوى الاعتقادات الشعبية (Doxa) فإن استخدام كلمتي 'البيان' أو' الخطابة' ربما يكون غير دقيق. وسوف أستخدم في بعض السياقات كلمتي الخطابة أو البلاغة، وذلك حين يكون الكلام على لسان جورجياس أو أحد الخطباء، أو يتضمن عرضا لأفكارهم. ويعني ذلك أنني أثبت التسميتين؛ الخطابة: تسمية السفسطائيين الخطباء لعملهم، والبلاغة: تسمية أفلاطون لعمل السفسطائيين الخطباء.

(١٤) أفلاطون (١٩٧٠)، مرجع سابق، ص ٤٠.

(١٥) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(١٦) انظر، Murry, J., S. 2001. Plato on Power, Moral Responsibility and the Alleged Neutrality of Gorgias' Art of Rhetoric. Philosophy and Rhetoric 34: 355-363. ص٣٥٧-٣٥٨.

(١٧) انظر، جرونبك (٢٠٠٤)، مرجع سابق، ص ١٣٦-١٣٧.

(١٨) يذهب واردي (١٩٩٨) إلى أن أفلاطون يدافع في محاورته عن العقل في مواجهة العاطفة. وقد عنون الفصل الذي ناقش فيه محاورة 'جورجياس' ب "الدفاع عن العقل".

(١٩) يسلنج، مرجع سابق، ص١١.

(٢٠) موري (٢٠٠١)، مرجع سابق، ص ٣٥٥.

(٢١) من الاعتقادات الشائعة لدى قطاع كبير من العرب، أن اللغة العربية وبلاغتها تفوق لغة وبلاغة الأمم الأخرى. ويمكن أن نجد جذور هذا المعتقد لدى بعض المفكرين العرب القدامى. فالجاحظ، في 'البيان والتبيين' (تحقيق عبد السلام هارون، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ٢٠٠٣، ج١، ص٥١)، يذهب إلى أن اللغة العربية تختص بالبديع دون بقية اللغات. كما ذكر ابن الأثير في كتابه 'المثل السائر في أدب الكاتب والناثر' (تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، نشر دار نهضة مصر ط١، د.ت. ج٢، ص١٦٨) أن الظواهر التي أدرجها تحت مفهوم 'شجاعة العربية' تختص بها العربية عن بقية اللغات. وثمة فكرة شائعة لدى عامة الناس أن اللغة العربية هي أشرف وأقدس اللغات لأنها لغة القرآن. ويبدو أن الشعوب والأعراق لديها نزوع للتحيز للغاتها وبلاغاتها، يُظهر نفسه في أحكام التفضيل المطلقة التي تضع 'لغتنا وبياننا' فوق لغة الآخرين وبيانهم. وأن ذلك سبب لتميز 'النحن'، ودونية 'الآخر'. ومن ثم سببا للتحكم في الآخر والسيطرة عليه. وربما كان الوعي بالعلاقة بين السيطرة المادية والسيطرة اللغوية أحد الأسباب التي تقف وراء كثير من دعوات 'نشر' اللغة القومية والمحافظة عليها.

(٢٢) يسلنج، مرجع سابق، ص١١.

(٢٣) انظر، موري (٢٠٠١)، مرجع سابق، ص ٣٥٨.

(٢٤) يسلنج، مرجع سابق، ص ١٠.

(٢٥) يذهب كروازيه إلى أن كاليكاليس رجل مجهول. وأنه "شخص خيالي من ابتداع أفلاطون، تتجسد فيه جملة بأسرها من النظريات أو الميول التي كان أفلاطون يراها تنمو حوله في مجتمع أثينا. وهو مصوَّر على أنه رجل لا يزال في شبابه، وعلى أنه مواطن ثري وطموح، يتوق إلى أن يسهم بنصيب في السياسة، ويستعد لذلك بالإصغاء إلى السفسطائيين الأجانب (أساتذة البلاغة)، الذين يستقبلهم في منزله"، نقلا عن أفلاطون (١٩٧٠)، ص ١٤.

(٢٦) مقدمة محاورة 'جورجياس'، أفلاطون (١٩٧٠)، مرجع سابق، ص ١٤.

(٢٧) المرجع السابق، ص ١٨.

(٢٨) موري (٢٠٠١)، مرجع سابق، ص٣٥٧-٣٦١.

(٢٩) انظر، Beard, A. 2000. The Language of Politics. Routledge، ص ٣٥.

(٣٠) ليس من المستغرب أن يربط محمد حسن ظاظا، في مقدمة ترجمته لمحاورة 'جورجياس' إلى العربية، بين شخصية كاليكاليس و"الإمبريالية بعامة وإسرائيل بخاصة"، وإن لم يبرر موضوعيا لهذا الربط. وفي الواقع فإن لهذا الربط ما يبرره. ولا يرجع ذلك إلى التشابه بينهما

في الهدف، الذي لا نجد وصفا أدق له من وصف آدم سميث لما أسماه مبدأ السادة الوضيع؛ وهو: كل شيء لنا، ولا شيء للآخرين (نقلاً عن تشومسكي، سنة ٥٠١ الغزو مستمر، ترجمة مي النبهان، نشر دار المدى للثقافة والنشر والتوزيع، سوريا، ١٩٩٩، ص٣٦.) بل يتجاوزه إلى الاتفاق في الوسيلة؛ أعني خداع الجماهير. وليس من الغريب، في هذا السياق، أن تنجح إسرائيل، كثيرا، في حشد التأييد لقضايا غير عادلة، كما لم يكن من الغريب أن ينجح جورج دبليو بوش في حشد غالبية الشعب الأمريكي وراء حرب غير عادلة. ولا نستطيع في هذا السياق أن نلوم البلاغة وحدها.

(٣١) انظر، أفلاطون (١٩٨٦)، مرجع سابق، ص١٠٩، ١١٠، ١١٩، ١٣١.

(٣٢) انظر، فيكرز (١٩٨٨)، ص ١٠٩.

(٣٣) ربما كان ذلك وراء توصية أيزوقراط- خصم أفلاطون اللدود- للأثينيين بأنهم، إن كانوا معنيين باكتشاف ما هو في مصلحة الدولة، يجب عليهم أن يهتموا بهؤلاء الذين يقدمون لهم وجهات نظر معارضة لما يؤمنون به، بدرجة أكبر من اهتمامهم بمن يتملقون آراءهم ويطرونها، (نقلا عن فيكرز (١٩٨٨)، مرجع سابق، ص ١٥٤.

(٣٤) لمزيد من المعلومات عن مشروع البلاغة النقدية ارجع إلى، عماد عبد اللطيف. البلاغة النقدية: مشروع بلاغي في نقد الخطاب. ضمن أعمال المؤتمر الدولي الرابع لجمعية النقد الأدبي بعنوان "البلاغة والدراسات البلاغية"، القاهرة، (قيد النشر).

(٣٥) لم يستطع الباحث العثور على أية ترجمة عربية قديمة لمحاورة 'جورجياس' في الوقت الذي حظي فيه كتاب أرسطو "في الخطابة" بعدد كبير من الترجمات والتلخيصات والشروح. ولم يختلف الأمر كثيرا في العصر الحديث، فعلى حين انشغل دارسو البلاغة العرب المحدثون بدراسة كتاب "في الخطابة"، نادرا ما وجهوا عنايتهم إلى موقف أفلاطون من البلاغة.

مصادر الدراسة ومراجعها

أولا: مصادر ومراجع بالعربية:

- ابن الأثير (أبو الفتح، نصر ضياء الدين) ت ٦٣٦هـ. المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفى وبدوى طبانة - نشر دار نهضة مصر ط٢ د.ت.
- أفلاطون. محاورة 'جورجياس'. ترجمة محمد حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠، ط١.
- أفلاطون. محاورة فيدروس. ترجمة أميرة حلمي مطر، دار المعارف، مصر، ٢٠٠٠.
- الجاحظ. (أبو عثمان عمرو بن بحر) ت٢٥٥هـ. البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ج١، ٢٠٠٣.
- تشومسكي، نعوم. سنة ٥٠١ الغزو مستمر، ترجمة مي النبهان، نشر دار المدى للثقافة والنشر والتوزيع، سوريا، ط١، ١٩٩٩.
- عبد اللطيف، عماد. (قيد النشر). البلاغة النقدية: مشروع بلاغي في نقد الخطاب. أعمال المؤتمر الدولي الرابع لجمعية النقد الأدبي بعنوان "البلاغة والدراسات البلاغية"، القاهرة.
- مطر، أميرة. مقدمة ترجمة محاورة فيدروس. دار المعارف، مصر، ٢٠٠٠.

ثانيا: مراجع أجنبية

- Beard, A. 2000. The Language of Politics. Routledge.
- Fussi, A. 2000. "Why Is the Gorgias so Bitter?" Philosophy and Rhetoric. 33: 39-58.
- Gronbeck, B., E. 2004. Rhetoric and Politics. In Kaid, L. (ed.) Handbook of Political Communication Research. Mahwah,NJ, USA.
- IJsseling, S. 1976. Rhetoric and Philosophy in Conflict: An Historical Survey. The Hague: M. Nijhoff.
- Murry, J., S. 2001. Plato on Power, Moral Responsibility and the Alleged Neutrality of Gorgias' Art of Rhetoric. Philosophy and Rhetoric 34: 355-363.
- Vickers, B. 1988. In Defence of Rhetoric. Oxford: Clarendon Press; New York: Oxford University Press.
- Wardy, R. 1996. The Birth of Rhetoric: Gorgias, Plato and Their Successors. London: Routledge.